

"مقام الرب" في بيت جعلوك¹

بقلم: هنري سيريج

إعداد: د. جوزف عبدالله

مقام الرب، أو بيت جعلوك كما يُقال أحياناً²، موضع على الطرف الشمالي للبنان، على ارتفاع 400م، منه يمتد النظر على وادي الإلوتيروس (النهر الكبير)، ويسرح بعيداً نحو البحر وصافيتا، وصولاً إلى المنظر الحتمي لحصن الأكراد. نصل إليه بشيء من الصعوبة إما عن طريق بلدة البيرة بمسير ساعة، وإما بمسير نصف ساعة من بلدة منجز³. ربما كانت هذه المنطقة المسكونة في عصر الرومان بالأيطوريين، وهم قوم من العرب ترومّوا لحد ما، تابعة إلى قيصرية لبنان، عرقاً القديمة، الوارد اسمها أحياناً على عملاتها قيصرية الأيطوريين⁴.

توجد في مقام الرب في مقام الرب، "منزل الإله"، آثار تالفة جداً لمعبد صغير من البازلت سبق أن لاحظها دوسو⁵ في العام 1897، ثم درستها في العام 1902 بعثة بإدارة أوتو بوشتين⁶ Otto Puchstein. وتقوم المديرية العامة للآثار حالياً بأعمال نبش وصيانة للموقع. ومع أن العلماء الألمان لم يكن مسموحاً لهم في حينه بغير الفحص السطحي لهذه الآثار، فقد تعرفوا فيها على معبد تحيطه الأعمدة بترتيب فريد، وفيه بيت الأقداس بواجهة من الأعمدة، وبيت قائم على قبو. بيد أنه تبين وجود النقوش فيه حديثاً. نشرت منها اثنين سابقاً كان الأب الجليل موتيرد Mouterde نسخهما في الموضع وتفضل بهما عليّ. ويسعدني اليوم أن أهديه، بفضل سخاء الأمير شهاب، نشر نص يكملهما، وأن أعترف بما يربطني به من مودة تعود لسنين، والعرفان بجميله لاستخدامنا الدائم لأبحاثه.

النصوص التي سناقشها كانت محفورة على قاعدتين شبيهتين من البازلت والواجهة العلوية ليست مرتبة كواجهة المذبح: هما قاعدتا تمثال. القاعدة الأولى⁷ مفقودة حالياً، محفور على وجهها درع دائري نقرأ فيه فوق وتحت حذبة وسطه:

A la déesse Athéna, (offrande de) Drusus, prêtre.

إلى الإلهة أثينا، (تقدمة) دروسوس، كاهن⁸.

القاعدة الثانية⁹ كانت حتى الآن مطمورة وجهها إلى الأسفل، ليظهر النقش عليها عندما انقلبت على وجهها خلال الأعمال الأخيرة. النقش غير المنشور المحفور عليها هو الآتي:

¹ عرض لمقال "نيميسيس ومعبد مقام الرب"، لصاحبه هنري سيريج. المرجع: Henri SEYRIG: "Némésis et le temple de Maqām er-Rabb", Mélanges de l'Université Saint Joseph, t. XXXVII, Fasc. 15, 1961, pp. 260-270.

² D. Krencker et W. Zschietzschman, Röm. Tempel in Syrien, I, pp. 102 sq.

³ R. Dussaud, Topogr. History. De la Syrie, p. 95; Guide bleu, Syrie et Liban, éd. De 1932, p. 67.

⁴ غير وارد على أي خريطة، باستثناء المخطط التقريبي الذي وضعه د. كرنكر (D. Krencker, op. cit., II, pl. 1). خريطة المنطقة بمقياس⁵ 50.000 لم تنشر أبداً. على الخريطة بمقياس⁶ 200.000، أبسط طريقة هي في اعتماد نقطة استعمال بلدة تل كلخ الكبيرة، على سكة الحديد بين حمص وطرابلس. وإذا أنزلنا من تل كلخ خطأ عمودياً نحو الجنوب، يلتقي على مسافة 8 كلم بلدة عيديمون، بالقرب منها يقع مقام الرب.

⁵ راجع حول الأيطوريين في لبنان: Beer, Ituraea (Pauly-Wissowa); A.H.M. Jones, Cities of the Eastern Rom. Provinces, pp. 255 sq.; R. Dussaud, Pénétration des Arabes, pp. 176 sq. Syria, XXXVI, 1959, p. 42, note 5.

⁶ Dussaud, Rev. archéol., 1897, I, p. 308.

⁷ D. Krencker ect., op. cit., pp. 102-104; 279; 293 (description, architecture); 274 sq. (date presume). Syria, XXVII, 1950, p. 245 (Antiq. Syr., IV, p. 139).

⁸ النقش باليونانية طبعاً نقلنا ترجمته الفرنسية فقط، وقمنا بتعريبها، (المترجم). ارتفاعها 1.10م، عرضها 0.67م، سماكتها 0.76م.

L'an 573, au mois de Peritios(?). Kairos Kalos. Drusus, prêtre, a dédié par gratitude (cette offrande).

عام 573، في شهر بريتيوس(?)، كايروس كالوس. دروسوس، كاهن، أهدى بامتنان (هذه النقدمة)¹⁰.

ثمة دولاب بثمانية أشعة محفور على الوجه الثاني، الذي كان يُظن حتى الآن أنه الوجه الأساسي، وفوقه منقوش اسم نيميسيس¹¹ Némésis.

تشابه القاعدتين كامل تقريباً: يبدو أنهما يشكلان ثنائياً، والمتبرع بهما معاً هو كاهن الموقع. الأولى مهداة بالاسم إلى أثينا التي لا يشكل وجودها مفاجأة في بلد عربي حيث تمثل هذه الإلاهة بالتأكيد اللات، الإلاهة¹² الكبيرة المحاربة لهذه الأمة. فعلى كل واحدة من القاعدتين اسم إلاهة، ما يجعلنا نعتقد أن هذه الأسماء تحدد الصور الكائنة على القاعدتين: نيميسيس على الأولى، كايروس كالوس على الثانية.

ثمة بيعة أخرى تشهد على عبادة نيميسيس في مقام الرب: أنها وطيدة¹³ من البازلت بها ما يزال معلقاً دولاب يبدو أنه كان مستنداً إلى فخذ تمثال صغير. وفي ذلك بيان على النموذج الكلاسيكي للأيقونات النيميسية.

ليس مدعاة مفاجأة اقتراح نيميسيس وأثينا التي لا تعود كالأولى إلى بلد عربي. فثمة تمثال صغير وصفناه منذ فترة قريبة عُثر عليه في خربة الصنّة Khirbet el-Sané في تدمر، داخل محراب كانت أثينا- اللات شخصيته الأساسية¹⁴. كما أن هناك نصباً ثالثاً من الطراز التدمري عليه نفس الاسم أثينا لصورة هي من الجلي صورة نيميسيس¹⁵. إن هذا التوفيق الذي يربط، أو يماثل، نيميسيس بالإلاهة كونية عظيمة مثل اللات يجعل منها في مظهرها المتأخر سيده للمصير الكوني¹⁶.

أما كايروس كالوس Kairos Kalos فهو أكثر استثنائية. فلا يُعرف بعد غير نصب واحد مُهدى إلى هذا الإلاهة: مذبح في بيزنطية¹⁷ مُهدى "إلى القدوة الحسنة، إلى حُسن القدر، إلى كايروس كالوس، إلى الأمطار، إلى الرياح، إلى الفصول الأربعة". لا شك أن كالوس كايروس يعني "الزمن السعيد"، ويتوافق مع "القدوة الحسنة" و"حسن القدر". نفس هذه المفاهيم كانت رائجة في سورية، إذا اعتمدنا على ما هو وارد على مذبح صغير في تدمر مُهدى بالآرامية "إلى من اسمه مبارك إلى الأبد، وإلى الزمن السعيد"¹⁸. اقترحت في حينه على ناشر هذا النص مقارنة مع فيليبستاس تومبوروم Felicitas Temporum زمن السعادة، ولكن كايروس كالوس لا يقل عنه توافقاً.

¹⁰ يعود الفضل في ترميم إفريز (كورنيس) القاعدة بواسطة الكثير من الأجزاء إلى السيد هار. كالايان Har. Kalayan الذي يدير الأعمال في مقام الرب. على هذا الإفريز كان السطر الأول منقوشاً. إن (êta) في كلمة (μῆ(νός) مدغمة مع (my)، ما يجب تصحيحه على ما يبدو بـ (pi)، لأن بقايا (epsilon) و(rhó) أكيدان. السطور الباقية منقوشة ضمن إطار على شكل ذنب السنونوة.

¹¹ Syria, XXVII, 1950, p. 245 (= Antiq. Syr., IV, p. 140).

¹² Voir par exemple D. Sourdel, Cultes du Hauran, pp. 69 sq.

¹³ الوطيدة هي جزء منخفض مربع من قاعدة عمود (المنهل، ص 927)، المترجم.

¹⁴ Syria, XIV, 1933, pp. 15 sq.; cf. D. Schlumberger, Palmyrène du N.-O., pp. 78 sq.

¹⁵ Syria, XIII, 1932, pp. 51 sq. (= Antiq. Syr., I, pp. 12 sq.) هناك لائحة بنصب نيميسيس في سورية في: (H. B. Walters, Catal. F Engraved Gems in the Brit. Mus., n° 1266, Syria, XXVII, 1950, pp. 242 sq. (=Antiq. Syr., IV, pp. 137).

أيضاً: (Herter, Némésis (Pauly-Wissowa), p. 2359). أضف إلى ذلك: (H. B. Walters, Catal. F Engraved Gems in the Brit. Mus., n° 1266, Syria, XXVII, 1950, pp. 242 sq. (=Antiq. Syr., IV, pp. 137).

ارتيميس إيفيز Artémis d'Ephèse بل جوبيتر اليعلبي بصحبة سيرابيس Sérapis ونيميسيس.

¹⁶ Syria, XIII, 1932, pp. 54 sq. (= Antiq. Syr., I, pp. 15 sq.)

¹⁷ L. Robert, Hellenica, IX, pp. 56 sq. مع تحليل مفصل.

¹⁸ مذبح بتاريخ سنة 111 ب.م؛ بالآرامية: 'L'DN' TB: n° 13, Syria, XIV, 1933, p. 192, J. Cantineau.

لعل تاريخ النذر يسمح بتقدير مقبول للجمع بين نيميسيس وكايروس كالوس¹⁹. من المرجح أن التقدمة حصلت في شهر بيريتيوس Peritios عام 573. هذا الرقم المنقول لا يمكن حسابه إلا بالتقويم السلوقي الذي كان معمولاً به عند أبطوريي قيصرية لبنان²⁰. وبالتالي يعود الإهداء إلى شباط من العام 262. لهذا التاريخ معناه في سورية. كان البلد يعيش منذ ست سنوات على الأقل في حال من الإضطرابات²¹. في العام 256، سحق سابور الأول جيشاً رومانياً في بارباليسوس Barbalissos على الفرات، وملك الفرس تقدم نحو أنطاكية حيث بقي مسيطراً عليها لبعض الوقت²². في العام 259 أو 260 تقدم سابور مجدداً واستولى على قارة Carrhes ثم أوديسا Edesse حيث أسر تحت أسوارها الإمبراطور فاليريان²³ Valérien. دمرت العصابات الفارسية ونهبت سورية وكيليكيا Cilicie وكابدوقيا²⁴ Cappadoce. ولكن هذه العصابات العاجزة عن احتلال البلاد سرعان ما انسحبت مع غنائمها، فعمت الفوضى في الداخل. ماكريان Macrien مدير الإدارة والمالية²⁵، المقيم في ساموسات Samosate حيث قاوم الفرس انتفض وأعلن إبنه، ماكريان الشاب Macrien le jeune وكويتوس Quietus إمبراطورين. قتل المدعوان ماكريان أثناء سيرهما إلى روما، أما كويتوس المتحصن في حمص مع أنصاره فقد حاصره أذينة Odénath بالتوافق مع غالين Gallien حيث قضت عليه العامة في صيف أو خريف العام 261²⁶.

بعد الكثير من الاضطرابات أعاد هذا الأمر السلام إلى ربوع المقاطعة. وترسخت سلطة غالين في الداخل. وفي الخارج، صار بوسع أوزينة بعد أن أصبح جاهزاً شن حملة على طيسفون Ctésiphon، لا يقتصر قوامها على قواته فحسب، بل وضع الإمبراطور بإمرته جيشه بعد أن عينه قائداً رومانياً dux Romanorum. وبذلك تنفست الصعداء سورية ومعها كامل الشرق. وفي غمرة هذه الظروف قرر الكاهن دروسوس تقديم نذره في شباط 262.

لا يصعب تصور ما كان يمكن أن يعنيه للسوريين اسم نيميسيس في ذلك الزمن. سبق لقيصر César أن شيد معبداً للإلهة عند تمثال بومباي²⁷ Pompée. وكذلك في العام 262 عاقبت نيميسيس أفعال ماكريان، قبل أن تعمد إلى معاينة ملك الفرس. ولم تقتصر شهرتها على تلك الأفعال السلبيه بمعنى ما. فثمة أيقونة شعبية للغاية نسبت إليها تدريجياً نعوت تجسيدها بأشخاص آخرين. فكانت نيميسيس نيكه Némésis-Niké المظفرة والقاهرة²⁸؛ ونيميسيس

¹⁹ ربما يروادنا هنا أن نتذكر التشابه الكبير القائم بين نيميسيس وكايروس إله الفرصة، خصوصاً لجهة بعض مظاهر أيقوناتهما (راجع علاوة على المقالات المتعلقة بالمقررات، المجموعة الغنية من الوثائق التي جمعها أ. ب. كوك: A. B. Cook, Zeus, II, pp. 859-868). ولكن كالوس كايروس ليس كايروس (L. Robert, op. cit., p. 57).

²⁰ G. F. Hill, Brit. Mus. Catal., Phoenicia, p. LXXI.
²¹ راجع أساساً حول هذه الأحداث: A. Alföldi, Berytus, IV, 1937, pp. 41-68; V, 1938, pp. 47-92; et depuis la découverte de l'inscription de Sapor I: M. Rostovtzeff, ibid., VIII, 1943, pp. 17-60; W. Ensslin, Zu den Kriegen des Sassaniden Schapur I, dans Sitz. D. Bayer. Akad., 1947, 5, pp. 18-85; A. Maricq (avec E. Honigmann), Recherches sur les Res gestae divi Saporis, dans Mémoires de l'Académie royale de Belgique, el. Lettres, XLVII, 4, 1953, pp. 131-149.

²² حدد ماريك (المرجع السابق، ص 131) تاريخ الحملة الثانية لسابور الأول.
²³ تاريخ أسر فاليريان موضع جدل: G. Lpuszanski (la date de la capture de Valérien et la chronol. Des empereurs gaulois. Bruxelles, Inst. d'études polonaises, 1951, pp. 4-24). – Sur la capture d'Edesse: Maricq, pp. 144 sq.

²⁴ A. Maricq, op. cit., pp. 14, lignes 26 s.
²⁵ H.-G. Pflaum, Carrières procuratoriennes équestres, p. 932.

²⁶ A. Alföldi, Berytus, V, 1938, p. 70 (novembre); W. Ensslin, Zu den Kriegen, pp. 75 sq. (été).
²⁷ Appian., Bell. Civ., II, 90. Voir plus loin, p. 270, post-scriptum.

²⁸ F. Chapouthier. Némésis et Niké, dans le Bull. de corresp. Hellén., XLVIII, 1924, pp. 287 sq.
درهم بحوزة إيميليان (Emilien 2⁵) 5, p. 197, no 2⁵ (H. Mattingly et E. A. Sydenham, Rom. Imp. Coinage, IV, 3, p. 197, no 2⁵).
مستوك في العام 252، في البلقان بالطبع، عليه صورة نيميسيس وبرفتها عبارة Victoria Aug.

تشييه Némésis-Tyché ضامنة القدر السعيد والحتمي كدوران الكواكب²⁹؛ وأخيراً، نيميسيس السلام Némésis-Pax الواعدة بمستقبل مسالم³⁰. أما كايروس كالوس فليس مخالفاً للصواب اعتباره يجسد نهاية مرحلة مضطربة.

إذا كان هذا هو تقريباً معنى نذر الكاهن دروسوس، يبقى علينا أن نشير باختصار إلى مظهر آخر للأمور، نقصد به الخلفية القومية، أو لنقل الخلفية الإثنية التي إليها يستند الإهداء. نحن هنا في حقل متحرك المعلومات الدقيقة عنه نادرة، بحيث يبقى جانب الافتراض واسعاً. بيد أنه يجب العمل أحياناً لجمع أجزاء هذا التقليد المتناثر.

لقد رأينا أن أثينا ليست، في بلد الأيطوريين، غير الإلاهة المحاربة اللات التي تحتل مكانة رفيعة بين مشاهير آلهة الأيطوريين في عنجر وبعليك³¹. ولا شك بأن أيطوريي لبنان كانوا يعون ما يربطهم بأهل حمص، وهم من العرب أيضاً، والذين قضوا للتو على المخرب كيبوتوس الذي كان أنصاره ينظرون إلى أودينة نظرة احتقار لاعتباره بمثابة البربري³². والحال فإن الدفاع عن الإمبراطورية بوجه الفرس كانت تعتمد في حينه على هذا الأمير العربي وقائد جيش عربي بقدر ما هو روماني. كل هذه الحكمة البارعة بنظرنا، من شأنها أن تكون أكثر حساسية بالنسبة للكاهن دروسوس وأتباعه، وأن تضيف نكهة عالية على تفاؤلهم.

لقد تحول معبد مقام الرب في العصر المسيحي إلى كنيسة وُضع قدس الأقداس فيها في مقدمة الهيكل. فبقيت أعمدة واجهة المعبد في مكانها، ولكن الفراغ بينها تم ردمه بالحجارة المأخوذة من تدمير أجزاء قديمة أخرى. عُثر في هذا الحائط الناجم عن ردم الفراغات بين الأعمدة، وفي مكان الفراغ الجنوبي على حجر عليه نقش. إنه حجر وجهه مزين جداً، الوصلات فيه معدة بعناية، ولكن وجهه الخلفي تعرض للتخفيف قليلاً ليتناسب وتركيبه في الحائط³³. وجه الحجر الذي اعتنى السيد كالايان بجمع المتناثر منه كان قد تم إعداده بخطوط أفقية:

[Aux frais] du trésor sacré, [l'an] 475 (ou 476), ce mur a été constuit sous la prêtrise de Sa[.]zouba fils de Bareôn, et sous l'archontat de Abiddaranès son fils et de Aboudemmos fils de Sabinus.

(على نفقة) أموال الكنيسة، (في العام) 475 (أو 476)، تم بناء هذا الحائط في ظل ولاية الكاهن سا(.)صوبا بن باريون، وفي ظل ولاية الحاكم عبد دارانيس ابنه وأبوديموس بن ساينوس.

السطر الثاني: الترميم يوافق تماماً البقايا المرئية من الحروف، مع أنه يمكن التردد حول رقم الوحدات في التاريخ: epsilon ou sigma، وإذا لزم الأمر zeta...

لم يكن النص مؤرخاً بولاية كاهن الكنيسة وولاية الحاكمين المحليين فحسب، بل أيضاً بتاريخ 475 (أو 476 أو 477)، هذا إذا كان تقديري صحيحاً. هذا التاريخ هو بالطبع بالتقويم السلوقي ويطابق العام 164/163 بتقويمنا. ولكن هذه المعلومة لا تفيدنا كثيراً مع الأسف لأننا نجهل

Références dans H. Herter, Némésis (Pauly-Wissowa), p. 2379. Cf. Syria, XIII, 1932, pp. 53 sq. (= ²⁹

Antiq. Syr., V, pp. 12 sq.).

M. Rostovtzeff, Journ. of Egypt. Archaeol., pp. 24 sq. ³⁰

Syria, XXXI, 1954, pp. 91 sq. (= Antiq. Syr., V, pp. 110 sq.). ³¹

Petr. Patric., éd. Boissevain, III, p. 744 = fragm. 167. Cf. Syria, XXXVI, 1959, p. 191, note 4. ³²

ارتفاعه 43 سنتم، طوله 1.20م، حروفه من 5 إلى 6 سنتم. ³³

المصدر الدقيق للحجر. يعود تاريخ الهيكل، كما يزعم ناشروه³⁴، إلى القرن الأول من تقويمنا، وذلك لأسباب لا تتعلق على العموم بغير طرازه. ولكن حجرنا قد يكون مصدره حائط آخر.

يظهر هنا اسم عبد دارانوس أو عبد دارانيس للمرة الأولى، ومعناه خادم أرانيس serviteur de Hadaranès. هذا الإله معروف من نقوش تشهد على عبادته في نيجا³⁵، وفي دير القلعة، هذا الموضع المرتفع على مقربة من بيروت³⁶، وفي ديلوس³⁷ Délos. نعرف أيضاً من نص سرياني أنه كان معروفاً في هيرابوليس³⁸. وفي نيجا فإن صورته المماثلة لصورة جوبيتر البعلبكي هي بوضوح صورة إله محلي لبناني.

يجب، بلا شك، تقريب اسم باريون من باريا Barea, BR، كتعبير تحبيبي لاسم باراتيه Baraté، ابن (الإلهة) أتية³⁹ Até. أبوديموس اسم معروف جيداً⁴⁰، وهو يعني والد أمه، وينطوي في الأصل، على الأقل، على فكرة تجسيد الجد من الأم. نفس التصور يفسر المزدوجة إيميدابواس⁴¹ Emmedabouas، والدة أبوها، مكتوبة بهذه الصيغة في نقش⁴² منسوخ من سنوات في سيرستيك الشرقية Cyrrhestique orientale، في ساكيسلر Sakisler في قضاء جرابلس...

يختم سيرينغ مقاله بملاحظة يشير فيها إلى ان اسم نيميسيس يظهر مرتين على مسكوكات طرابلس: قطعة نقد تعود لعام 1، في عصر بومباي بالتأكيد بين عام 64 و63 ق.م. (E. Babelon, Perses achém., no 1886; BMC, nos 8 et 9)؛ وقطعة نقدية أخرى من العام 283 بالتقويم السلوقي ما يعادل 29-30 ق.م. (Musée de Beyrouth, apparemment inédite). يتوافق كلا التاريخين مع ظروف اضطرابات: الغزو الروماني لسورية، والحروب الأهلية عقب موقعة أكسيوم.

³⁴ D. Krencker ect., op. cit., pp. 274 sq.

³⁵ S. Ronzevalle, CRAI, 1901, p. 479; CIL. III, 13608 (cf. p. 2328⁷⁴); excellente reproduction dans D. Krencker, op. cit., p. 120, fig. 164. Cf. Cumont, Hdaranes (PAULY-WISSOWA, 1912).

³⁶ S. Ronzevalle, loc. Cit; CIL. III, 14384

³⁷ P. Roussel, Délos colonie athénienne, p. 261; E. Will, Annales archéol. De Syrie, I, 1951, p. 65; J. et L. Robert, Bull. Épigr. (Rev. des ét. Gr.), 1955, n° 170.

³⁸ W. W. Baudissin, Studen z. semit. Religionsgesch., I, p. 312; J. Bidez et F. Cumont, Mages hellénisés, II, p. 94. Apparemment omis par G. Goossens, Hiéropolis de Syrie.

³⁹ Syria, XIV, 1933, p. 274 (= Antiq. Syr., I, p. 123)

⁴⁰ Répert. D'Épigr. Sém., II, 582 (hébr.): ŠLM 'BWDMS... Variantes: R. Mouterde, Mél. Univ. S. Jos., VIII, 1922, pp. 103 sq., et Syria, VI, 1925, p. 360; F. Cumont, Fouilles de Doura, p. 432, n° 98...; M.-R. Savignac, Rev. bibl., 1912, p. 536...; R. du Mesnil du Buisson, Mél. De l'Univ. S. Jos., XXXVI, 1959, p. 31, n° 102. Hypocoristiques: M. Lidzbarski, Ephem. F. semit. Epigr., I, p. 89, 350...; Waddington 2203 d...

⁴¹ CIG 9787; cf. H. Leclercq, Antioche (Dict. D'arch. Chrét.), col. 2423; Kaibel ووثنو Wuthnow؛ أدین بمعرفته إلى الأب الجليل موتيرد؛ H. Ingholt, Berytus, V, 1938, p. 124... Mouterde, Mél. Univ. S. Jos., XXIX, 1952, p. 48, note 3

⁴² نصب من البازلت ضيق من الأعلى، مقوس قليلاً، بارتفاع 2.10م وعرضه من الأسفل 53سنتم: حروف epsilon, omicron, sigma مربعة. تاريخه العام 395 بالتقويم السلوقي، الموافق أير العام 84 بتقويمنا.